

Friends Spiritual Message

رسالة الفرندز الروحانية

بقلم هوارد برنتون

إذا نظرنا إلى الرسالة الروحية لجمعية الأصدقاء بعيدا عن رسالتها الاجتماعية ، يجب علينا أن ندرك أن "الروحانية" و "الاجتماعية" ترتبطان ارتباطا وثيقا مثل الجانبين من الباب. لا يمكنك الحصول علي واحد من دون الآخر. ومع ذلك ، كما هو الحال في الباب ، فمن الممكن تركيز الاهتمام علي جانب واحد أو آخر. يمكننا ان نفكر في "الروحانية" باعتبارها متعلقة في المقام الأول بعلاقتنا مع الله و "الاجتماعية" متعلقة في المقام الأول بعلاقتنا مع زملائنا. كل منها يعتمد علي الآخر. نادراً ما تظهر عبارة "متعلق بالرب" في كتابات الكويكرز ، دون أن تظهر بموازاتها عبارة "وبعضنا ببعض". الانضمام إلى الرب يؤدي إلى الانضمام إلى بعضها البعض ، و ينضمون إلى بعضهم البعض يؤدي إلى ان تكون "انضم إلى الرب". وكلمة "الروحانية" لها معاني كثيرة ، ومعظمها غامضه. يتم استخدام هذه الكلمة هنا في اثنين من المعاني المحددة بوضوح.. الأول، كلمة "الروحانية" تحدد علاقتنا بما هو رباني داخلنا، فضلاً عن كونه أبعد وأسمى منا. الثاني، تصف كلمة "روحانية" ديناً يكون فيه الشكل الخارجي تعبيراً حقيقياً وصادقاً عن الحالة الداخلية.

النور الداخلي

التعريف الأول يقودنا إلى عقيدة الكويكرز عن "النور الداخلي" أو "المسيح داخلنا" أو "الله في الجميع". وفقاً لهذا الاعتقاد ، الله يكشف عن حياه الله ، والحقيقة ، والمحبة لكل كائن بشري من كل عرق ودين ، مباشره ، دون شرط من اي وسيط مثل الكنيسة ، الكاهن ، أو الكتاب المقدس. هذه العقيدة ليست فريدة من نوعها، ولكن الكويكرز حملوها في عبادتهم إلى نهايتها المنطقية الممثلة بحكومة كنيستهم وعلاقتهم بالآخرين.

في منتصف القرن السابع عشر في إنكلترا ، بسبب الطباعة ، أصبح الكتاب المقدس معروفا علي نطاق واسع، ويبدو للكثير ممن قراؤه أن الكنيسة المسيحية القديمة تعتمد قليلا جدا علي البنية الكنسية، والطقوس المتقنة، والعقائد الرسمية، ولكن ذلك يعتمد إلى حد كبير على الروح القدس وسط مجموعة العبادة وعلى التعابير النبوية المستوحاة من الروح القدس. وقد أراد التطهيريون المتشددون "تطهير" الكنيسة من المعتقدات المتراكمة منذ الأيام الأولى للمسيحية. لقد أخرج الأنجليكان، كونهم الأكثر تحفظاً، عددًا قليلاً من هذه العناصر، وأخرج المشيخيون عددًا قليلاً آخر، وأخرج الأبرشيون المزيد، والمعمدانيون كذلك أخرجوا عددًا قليلاً آخر، وأخيرًا الكويكرز، كونهم الأكثر راديكالية من بين الطوائف الجديدة، أخرجوا كل شيء ما عدا الاعتماد على الروح القدس للإرشاد والسلطة. وهكذا، جاءت جمعية الفرندز الدينية (الكويكرز) لتحيي من جديد الدين النبوي القديم. لم يكن الروح القدس بالنسبة لهم الشخص الثالث من الثالوث ولكنه الله الذي يتجلى داخلياً كما تجلى الله خارجياً في شخص يسوع الناصري. هذا هو كلام الله، هذا هو النور، الحياة، والحقيقة، والمحبة في لغة يوحنا و"الروح القدس" والمسيح فيكم" من بولس.

وهذا يكفي للخلاص، لأن الخلاص يتكون من الطاعة التامة لله أو، لنستخدم مصطلحاً لاهوتياً مختلف، هو "في اتحاد مع الله". ومن الجدير بالاهتمام أن نلاحظ كيف تتم عملية التحول، كما قيل في معظم مجلات الكويكرز الأكثر شيوعاً أو السير الذاتية، على الرغم من أن كلمة "التحول" نادراً ما تستخدم. لا يوجد هناك جهد لإنقاذ النفس من خلال قبول صيغة لاهوتية، إلا أن الاقتناع بمبادئ الكويكرز هو عموماً الخطوة الأولى في هذه العملية. يصف الكتاب كيف أنهم تدريجياً بعد تداول الانتصارات والهزائم يصبحون في نهاية المطاف مطيعين تماماً لإرادة الله لأنهم اقتنعوا بسريرتهم بالصيغة اللاهوتية الجديدة وركزوا حياتهم نحو النور. لن يكون النصر كاملاً ونهائياً، ولكن الهفوات المستقبلية تكون أكثر ندره.

الروح الإلهية

إنها الروح الإلهية التي تتجلى في أعماق الروح وتعتبر مصدرًا للمعرفة الدينية والأخلاقية، ومصدرًا للسلطة للعمل وفقًا لتلك المعرفة، ومصدرًا للاتحاد مع الآخرين. والمعرفة الدينية والأخلاقية، كمثّل معرفة وتقدير الجمال، لا تتحقق من خلال عملية تفكير منطقية وإنما من خلال الشعور. كما أشار بعض من أعظم علماء النفس تدينا إلى أن الشعور هو عضو من أعضاء المعرفة تمامًا كالفكر. فهو يكشف عن القيم بدلًا من الحقائق. السلطات الخارجية مثل الكتاب المقدس وتقاليد الكنيسة هي مصادر هامة ولكنها ثانوية بالنسبة للحقيقة. ولا يمكن فهمها وتطبيقها إلا من خلال الروح التي أنتجها أصلاً. الضمير، باعتباره العضو الخاص الذي يستشف الحقيقة الأخلاقية، يجب أن يطاع، ولكنه دليل حقيقي فقط بقدر ما نسمح لله أن يتكلم من خلاله. من الواضح أن الضمير غالبًا ما يتأثر بالتحيزات والأعراف التقليدية.

قد تبدو مثل هذه العقيدة فردية، ولكن، كما طبقها الكويكرز، كانت أبعد ما تكون عن هذا الوصف. وكما تعمل الروح في الفرد بكفاءة، تعمل أيضًا من خلال الجماعة ككل، ويجب فحص الأفكار الفردية واختبارها في ضوء بصيرة الجماعة ككل وتعاليم المسيح. وحتى مع ذلك، لا يمكن أن يكون هناك ادعاء بالعصمة. يجب على كل منا أن يتبع النور الذي بداخلنا مهما كان ضعيفًا، ونثق بالله بأننا إذا كنا مخلصين في استخدام موهبتنا الوحيدة، سيتم اعطاء المزيد.

الروح القدس هو أيضًا مصدر قوة. وفي قراءتنا لمجلات الكويكرز، والتي هي أفضل مصدر للمعلومات لدينا لأنها تصور حياة ما قد يسمون "الفرنذز العاديين"، فمن المستغرب أن نجد هذه القوة الخارقة التي أعطيت في بعض الأحيان لرجال ونساء من العامة، مزارعين، وربات بيوت، وتجار، وغيرهم، بحيث إنهم من دون أي تعليم خاص أو تدريب على المهمة شرعوا في رحلات طويلة للتبشير برسالة جمعية الفرنذز الدينية. لجميع المراتب الاجتماعية من أدناها إلى الملوك والزعماء. وبمجرد قناعتهم بأنهم يقومون بعمل الرب، فلا شيء يمكن أن يوقفهم.

الوحدة مع كل الناس

الروح هي أيضًا مصدر الوحدة، سواء داخل المجموعة أم مع جميع الناس وفي كل مكان. و نفس الشيء، وروح الحقيقة اللامتناهية المتطابقة هي نفسها كامنة في كل واحد منا، وكلما اتحدنا معها بصدق أكثر اقترب بعضنا من بعض أكثر؛ وعليه وعند اتخاذ القرارات لا يصوت الفرنذز كمجموعة، لأن هنالك حقيقة واحدة فقط، وهذه الحقيقة ستكون في متناول الجميع في نهاية المطاف والبحث عنها بصبر يؤدي في النهاية إلى الوحدة. وهذا يعني أن كل شخص في المجموعة موجود، ليس للدفاع عن رأي، بل للانضمام إلى بحث مشترك يؤدي إلى نتائج موحدة. فهناك مجموعة من العلماء لا تفكر في التوصل إلى الحقيقة العلمية من خلال التصويت. وللسبب نفسه، لا يعتقد الكويكرز أن حقيقة الرأي تتوقف على عدد الذين يؤمنون بها.

لهذا السبب أيضًا، لم يكن الكويكرز عادة قلقون بشأن قلة عددهم، مع أنهم يدركون أن إقناع جميع الناس بالحقيقة هي من مسؤوليتهم. وبيّن التاريخ أن الحقيقة غالبًا ما تظهر أولاً في حوزة اقلية صغيرة. وهذه الطريقة في اتخاذ القرارات تكشف الأساس الذي يستند إليه مبدأ السلام عند الكويكرز والذي يشتهرون به على نطاق واسع. ربما لان مبدأ السلام في الوقت الحاضر أقل قبولاً بشكل عام. ان الجميع اليوم بالسلام، ولكن رفض المشاركة في الحرب أو الاستعداد لها هو الحد الأقصى الذي يرغب الكثيرون في الوصول إليه. ومع ذلك إذا كنا نعتقد أن نور الحقيقة الإلهي موجود في كل إنسان، وأنه يمكن تسوية الخلافات بحق وبشكل دائم فقط من خلال نداء إلى هذا النور-وهو ما سماه جورج فوكس "استجابة الله في الجميع" فإن الحرب هي الطريقة الخاطئة. والمناداة للطرق السلمية لا تنجح دائمًا في نظر العالم. ولذلك فإن من يستخدم هذا النداء يجب أن يكون مستعدًا للخسارة والمعاناة. ولكن هذه الخسارة والمعاناة ترافقهما أيضا اللجوء إلى العنف.

غياب الأنماط

نأتي الآن إلى المعنى الثاني لكلمة "الروحانية". يكون الدين روحانيًا إذا كان المظهر الخارجي للقول والفعل هو تعبير عن الحالة الداخلية. يتجنب مثل هذا الدين جميع الأنماط التي هي روتينية والمخططة مسبقًا، لأن مثل هذه الأنماط تميل إلى أن تصبح جوفاء وفارغة من أي مضمون. لهذا السبب ترك الكويكرز الأشكال الظاهرية للطقوس الدينية رغم أن هذه المظاهر المرئية غالبًا ما تكون دليلاً صادقاً على الحالة الداخلية. كلما كان اجتماع العبادة دون نمط محدد بقدر الإمكان فإن كل ما يحدث قد يكون تعبيرًا صادقًا وعضويًا عن الحياة الداخلية. قد تكون الموعظة المُعدّة سلفًا تعبيرًا حقيقيًا عن مشاعر القس عند تحضيرها، ولكنها لا تنشأ بالضرورة عن حياة الاجتماع كوشي من خلال الروح القدس في الاجتماع. لا يتم إنشاد التراتيل في الاجتماع لأنها كلمات وضعت في أفواه المصلين والكلمات التي لا تعبر بصدق عن حالتهم الروحية في ذلك الوقت. ولا يقرأ الكتاب المقدس عادة في اجتماع، لأنه حتى هذا يمكن أن يصبح نمطًا فارغًا لذلك يجلس المصلون في صمت، كل يسعى لمناجاة الوجود الإلهي الحاضر في وسط القاعة، ويكون مستعدًا لإبلاغ المجتمعين عن أي رسالة قد تنشأ في الذهن ليتضح أن المقصود منها هم المجتمعون ككل وليس الفرد متلقي الرسالة.

يمكن القول إن الصمت نفسه هو نمط. هذا صحيح، ولكنه ليس نموذجًا يلزم أي شخص بأي فعل أو خطاب فغير صادق. لا يعارض الفرندز خطابات أو محاضرات حول مواضيع دينية معلنة مسبقًا لقراءة الكتاب المقدس أو لإنشاد ترانيم. ولكن هذه التمارين ليست مدرجة في اجتماع العبادة. تعتبر هذه القراءة نوعًا خاصًا من التمارين الروحية وتبذل كل الجهود لتحقيق العفوية، والإخلاص، ومواجهة مجددة ومنعشة للواقع وللحقيقة.

في الماضي كان الفرندز أحيانًا يميلون إلى القديم في الجهود المبذولة لتحقيق الصدق الكامل والإخلاص في الكلام. وتستند العديد من النوازل الفكاهية إلى هذه الخاصية. وقد تم تجنب الألقاب مثل السيد والسيدة، والفخامة، والجلالة، والموقر، ليس فقط لأنها غير مناسبة، ولكن لما فيها من اغراء للفرد وتجاهل للمساواة بين جميع الناس أمام الله. وللأسباب نفسها تم تجنب استخدام ضمير الجمع "أنتم"، الذي كان يستخدم سابقًا لمخاطبة الرؤساء وذوي المكانة الاجتماعية بدلاً من الضمير المفرد "أنت"، وكذلك تم تجنب رفع القبعة، والانحناء، وغير ذلك من السلوكيات التقليدية؛ وتماشيًا مع هذا الجهد لتحقيق الوصول إلى الحقيقة والإخلاص، وكان ذلك ضد كل شكل من أشكال الأفضلية في اللباس والكلام والسلوك. البساطة هي شكل من أشكال الصدا لأصالة، وهذا يعني التركيز على ما هو مهم وعملي حقًا وفي آن.

وتوصف جمعية الفرندز الدينية (الكويكرز) هنا بناء على مثلها العليا، وليس بالضرورة بناء على إنجازاتها. وتجنبهم لاستعمال نمط موحد، ينزلق الفرندز أحيانًا إلى أنماط أخرى. الأنماط والعقائد أمران لا مفر منهما، فلها استخدامات هامة، وخاصة في مجال التعليم، حيث تستخدم الأنماط لإظهار ما يجب أن يكون مضمونها الحقيقي، وحتى، أحيانًا لخلق المحتوى. ان ديننا المسيحي سيكون ضعيفًا ومبهما بدون المذاهب التي تسانده. ولا تهدف جمعية الفرندز الدينية (الكويكرز) إلى التخلص كليًا من النمطية والصوفية المركزة. إن الالتزام بمبادئ وأهداف العقيدة تحتاج إلى جهد كبير متعنن ومتصلب على نحو غير عادي لخلق نوع من الإيمان يعبر فيه الشكل الخارجي، قدر الإمكان، عن الفكر الداخلي والحياة.

"الرسالة الروحانية لجمعية الفرندز" ظهرت للمرة الأولى ك مقال في مجلة الفرندز في 5 تشرين الثاني/ نوفمبر 1955. وتم تعديلها من أجل لغة حيادية الجنس في الاجتماع السنوي للجنة المنشورات في فيلادلفيا في 1992.

تم نشر هذا المقال باللغة الانكليزية للتوزيع المجاني من قبل Friends General Conference في ولاية فيلاديلفا الامريكية. الترجمة العربية تمت من قبل Ramallah Friends Meeting بالتنسيق مع Brummana Friends Meeting في لبنان.